اللوحة

مسرحية في فصل واحد

صخر حبش (أبو نزار)

الى الذين.. ماذا
لا ادري.....
يظهر انني سأحتفظ
بهذا لنفسى

المنظر

صالة فسيحة تضم عددا من الأرائك المنسقة على جدران الصالة علقت لوحات جميلة لمناظر طبيعية.

تدخل سلوى وهي تحمل لوحات كبيرة بيدها اليمنى بينما تمسك باليد اليسرى يد طفلها الصغير وديع. تلقي باللوحة على أحد الأرائك فتصبح مواجهة للجمهور تنظر إليها ثم تتحني نحو ابنها الصغير.. تحمله وتتجه الى إحدى الزوايا.

يدخل كامل وهو شاب في الثلاثين تبدو عليه بوادر الغضب. ينظر الى اللوحة في اختفاء ثم يتجه ناحية سلوى.

كامل: هذا آخر ما كنت أتوقعها، أوصل بك الجنون الى هذا الحد. ماذا تظنين بربك. أصبحنا مضغة في الألسنة لعل هذا يرضيك ويشبع غرورك أيتها الفنانة العظيمة.

(يتجه ناحية اللوحة وينظر اليها باشمئزاز تنسقه سلوى)

ماذا بالله تقصدين بهذا الرجل الأسمر القبيح الذي تمدين إليه يدك في رجاء اهو الذي سيخلصك من الجحيم الذي توهمت نفسك فيه. (يشير الى اللوحة) وهذا الوجه أليس هو وجه وديع.. ولدنا.

أليس هذا هو بيتنا الذي نقطن فيه وعلامة الاستفهام الكبيرة التي تغطيه تدل على الأوهام التي وجدت لها مسكنا في قلبك ان هذه اللوحة دليل صريح على تفاهتك وتقريطك في قدسية حياتنا الزوجية.

سلوى: (تتعلق بذراعه) انك تعطي الأمر أكثر مما يستحق.

كامل: (يسحب ذراعه) بل اقل بكثير. كل هذا الذي أراه مرتسما أمامي.. يا لله انني لا أستطيع ان اعبر عنه.. لا أستطيع.

سلوى: انك تنظر الى الأمر من زاويتك الخاصة.

كامل: ماذا تقصدين.

سلوى: أنت تفهم ماذا اعني.

كامل: لقد وصل بنا الحد ان يتهم احدنا الآخر صراحة.

سلوى: أنت الذي بدأت.. ورغم تفاهة الموضوع فانك أثرت فضيحة، هل اللوحة هي التي ستجعلنا مضغة في السنة الناس؟ أم تصرفاتك الطائشة في المعرض وأمام العشرات من الزوار.

كامل: انني لا أرضى ان تكون حياتنا صورة ينظر إليها الناس فيرثون لحالنا ويشفقون علينا.

سلوى: يا ليتنا نشفق على أنفسنا (تشير الى ابنها) وعلى هذا الطفل البريء.

كامل: هل تظنين ان باستطاعتي ان اعيش معك بعد اليوم دون ان تساورني الشكوك.

سلوى: لقد عشت حياتي كلها في هذا البيت والشكوك تنهس قلبي وعودتك بعد منتصف الليل مخمورا كل يوم تحفر لحياتي ومسافي الصحراء.

كامل: هذا شأنى أنا.

سلوى: وشانك أيضا ان تضيع كل ما نملك على موائد القمار؟.

كامل: أنا حر اصنع ما أشاء في أملاكي.

سلوى: وأملاكي أنا... هل تركت لي شيئا؟.

كامل: منذ متى كان لك شيء؟ كل ما لك هو هذه اللوحة الدنيئة القصد (يشير في اللوحة) يا للقسوة.. ماذا تقصدين بهذه العظام النخرة؟ وهذه الجمجمة القبيحة التي تولينها ظهرك خائفة... اذا أنا في نظرك... أنا؟.

سلوى: هل تظن ذلك؟.

كامل: بل هي الحقيقة التي تتوهمينها.

سلوى: الحقيقة ان كل منا قد اخطأ. وان كنت لم اصل الى ما وصلت أنت إليه... كل خطئي أنا انني رضيت بك زوجا دون ان اعرف شيئا عنك. اما هذه اللوحة التي أثارته فأنها تعبير صادق على الحياة التي أحيها في هذا البيت.

لقد بدأنا حياتنا دونما أساس من التفاهم أو الحب.. قالوا لي يوما ان الدكتور كامل يريد زوجة له. ومن هو الدكتور كامل وما هي أخلاقه لا اعرف شيئا عنه وجذبتني لقب الدكتور وظننت ان من يصل الى هذا المستوى من العلم يصبح التفاهم معه سهلا... ولكنني فوجئت بأنني كنت انظر الى سراب لما لم نستطع التفاهم لماذا خلق الله طباعنا على طرفي نقيض لماذا؟... لماذا؟ لا اصل الى هذا الحد الذي اعبر عنه في هذه اللوحة. يوم ان وضعت طفلي لم اسمع كلمة حلوة كما تسمع غيري في مثل تلك المناسبة وها هو الطفل يكبر دون ان يشعر بحنان أبوي وكأني جئت من بيت أبي لأقرضه عليك فرضا. هل تذكر يوم مرض... كنت نائما وظلمت كان الأمر لا يهكم فلم تكلف نفسك مشقة النظر إليه. يا لله كم كنت أخشى ان تمتد إليه يد الموت. (تشير الى اللوحة) هذا هو الموت الذي اهرب منه.. أليس من حقي ان ارسم علامة استفهام كبيرة على البيت الذي اعيش فيه والذي لا اشعر فيه سوى بالوحدة والإهمال.. أين كنت بربك وأنا ارسم هذه اللوحة... كانت أمام عيني دائما فلم تكلف نفسك مشقة النظر اليها حتى جاءك من أخبرك بحقد انني اشهر بحياتك وصدقت الواشي... لو عرفت ما اعنيه من هذه اللوحة وأردت السير في طريق الحق لعذرتني.

الرجل الأسمر الذي يأخذ بيدي الى النور... الى الأمل هو أنت.. انني أتمنى ان تضع يدك في يدي وبيننا طفلنا الحبيب لنسير معا فتمحي خطواتنا علامة الاستفهام التي تشغل فكري.

- كامل:** بعد كل ما حصل.. لا يمكن.. لا يمكن.
- سلوى:** أترى عدم استعدادك على الأخذ بيدي وإنقاذي من الهوة التي وقعت فيها بسببك.
- كامل:** بسببي.
- سلوى:** اجل... أنت الذي اخترتني زوجة لك.. لماذا اخترتني!؟
- كامل:** كنت أظن انني سأعيش معك عيشة هادئة.
- سلوى:** كنت تظن... لم تكن قد هيأت نفسك لأي احتمال آخر وأظنك لا زلت كذلك غير مستعد ان تضحي بما ورثته من طباع.
- كامل:** ورثته من طباع.. أي طباع؟
- سلوى:** ان تحب نفسك... ولا شيء إلا نفسك هل أحببتني في يوم من الأيام؟
- كامل:** وهل تزوجتك دون ان احبك؟
- سلوى:** أنت لم تعرف عني شيئاً قبل الزواج فكيف أحببتني؟
- كامل:** انك تدورين حول نفسك وأنا اعرف ما ترمين إليه... ولكنني متأسف. أرجو ان تغادري هذا البيت.
- سلوى:** ماذا تعني بذلك؟
- كامل:** لقد انتهى كل شيء.
- سلوى:** ماذا!!؟
- كامل:** اجل يمكن لكل منا ان يبدأ حياته من جديد.
- سلوى:** والطفل كيف ومن أين يبدأ. فكر بما أنت مقبل عليه.. فكر.. ضح قليلا في سبيل ولدك.. في سبيل نفسك أرجوك لا تحكم بقسوة. لا تجعل الموت يختطفني من يدك.
- كامل:** مستحيل.. لن أراجع.
- سلوى:** (تنظر الى كامل شزرا ثم ترفع رأسها بكبرياء) اذا لماذا لا تسمعني الكلمة التي يرددها الرجال في مثل هذه المناسبة.
- كامل:** ستصلك ورقة الطلاق في بيت والدك.. (يوليها ظهره).
- سلوى:** (تتجه ناحية اللوحة) أيتها اللوحة المشؤومة.. لقد حكمت على بما كنت أخشاه.. لن اكره ما جدت فقد يكون فيه خلاصي من التعاسة التي شبعنت منها (تتحني ناحية اللوحة وتحملها وتمسك بيد ابنها وتتجه ناحية كامل) الا تلق نظرة على ابنك قبل ان يفارقك؟
- (يلتفت إليها فيسمع طرق الباب).
- (تتجه سلوى ناحية الباب وهي تحمل اللوحة.. تفتح الباب يدخل سامي).
- سامي:** (بلهفة) السلام عليكم.. أين اللوحة.. (يختطف اللوحة من يدها يمسك اللوحة وينظر إليها بإمعان) أيتها اللوحة الرائعة.. انك تساوين ثقلك ذهباً (الى سلوى) لقد أصر على شرائها.

سلوى: شرائها.. من الذي أصر؟! .
سامي: انه على استعداد لدفع أي مبلغ تطلبينه.
 (كامل يتقدم حتى يصبح الى جانب سامي).
كامل: من الذي يريد شراء اللوحة؟.
سامي: لطفي شاكر.
كامل: (باستغراب) لطفي شاكر.
سامي: انه في الخارج.. هل ادعه يدخل؟.
كامل: دعه يتفضل.. أهلا وسهلا به.
 (يخرج سامي ويدخل بعد لحظة يتبعه لطفي وهو شاب في الثلاثين يبدو عليه العز والجاه).
كامل: (بلطف ظاهر) أهلا أستاذ لطفي كم أنا سعيد انك شرفتنا بزيارتك.
لطفي: شكرا... لقد جئت في أمر مهم أرجو ان لا اخفق فيه.
كامل: البيت كله رهن إشارتك.
لطفي: أشكرك ثانية (الى سلوى) أرجو ان تتكلمي يا سيدتي وتهديني هذه اللوحة الرائعة مقابل أي مبلغ تحددينه.
 (سلوى تنظر الى كامل الذي اخذ يفرك يديه ويروح ويغدو ثم تتجه الى لطفي).
كامل: (يتصنع الأسف) انك تشتري سعادتنا.
 (تنظر سلوى الى كامل وتبتسم بسخرية)
لطفي: ماذا تقول... سعادتك؟
كامل: اجل... ان هذه اللوحة هي مبعث السعادة في هذا البيت ان ل تتصور كم استنزفت من العرق والتعب والضنى من زوجتي العزيزة ومني.. كنت اجلس جوارها الليالي الطوال ونحن نبني خطوط هذه اللوحة وشعورنا إننا نضع لبنات في بيت سعادتنا.
لطفي: (مستغربا) ولكن هذه اللوحة لا تعبر عن استقرار عائلي.. انها تنضج بالقلق.
كامل: اننا نرسم الخطر أمامنا حتى نخشاه فلا نقرب منه.
لطفي: رائع.. ولكن أستم على استعداد لا تبيعوني هذه اللوحة.. انني على استعداد لدفع ما تشاءونه.
كامل: على العموم... يمكنني ان أقنعها اذا كان المبلغ سخيا.
سلوى: أنا لن أبيع هذه اللوحة مهما كان الثمن.
كامل: لم كل هذه الإصرار يا عزيزتي نبيعتها ونرسم غيرها.. ثم ليس من اللائق ان نرد ضيفنا الكريم خائبا.

سلوى: (للطفي) لماذا أنت مصر على شراء اللوحة؟... هل أعجبتك؟.

لطفي: انها تنطق بما أريد ان أقوله.

سلوى: هل عبرت عن نفسك الى هذا الحد؟.

لطفي: اجل.

سلوى: كيف فسرتها؟.

لطفي: (يحدق في اللوحة). منذ ان رأيتها في المعرض وأنا اعيش في خطوطها. الأمل.. وهذا الطفل الجميل والبيت الذي يحيطه الغموض والموت الذي يرسم الدمار هذه هي حياتي... منذ سنوات تزوجت من فتاة أحببتها ولا زلت أحبها حبا يملك على نفسي ولكن والدي يضع في جدول حياتنا حجارة لتعطيل مجراه... انه يصر ان يزوجني من أخرى اذا لم تنجب زوجتي طفلا يعيد ذكرى ولده الوحيد.. وحاولنا المستحيل دون جدوى. لا الطب استطاع ان يجد حلا ولا والدي رضى بما قسمه الله لي... هددني بحرمانني من جميع ما يملك ان لم أطعه.. ماذا افعل وأنا أحب زوجتي. أحبها (يشير الى اللوحة) أليس هذا هو الطفل الذي يريده والدي والذي هو الأمل الوحيد لاستمرار حياتنا الزوجية السعيدة وهذا البيت الغامض هو بيتي والموت الذي أخشاه هو حكم أبي القاسي.. انه لو نظر الى هذه اللوحة وفهمها فلا بد أنه سيرحمني.. انني على استعداد لأدفع لك ما تشائين مقابل هذه اللوحة.

كامل: اجل يا زوجتي العزيزة... لا تكوني عنيدة.. دعيه يعيش حياته سعيدا كما نعيش نحن حياتنا حدي الثمن الذي تريدينه... أم احده أنا؟.

سلوى: (للطفي) هل أنت على استعداد لدفع أي مبلغ؟.

لطفي: (يمد يده الى جيب سترته ويخرج حافظة نقوده) اطلبي يا سيدتي.

سلوى: لن يخيب أملي فيك.

لطفي: ان شاء الله.

سلوى: (تناوله اللوحة) تفضل... انني أقدم إليك هذه اللوحة هدية مني مقابل... لا شيء.

كامل: (مندهشا) ماذا... لا شيء؟.

لطفي: لا شيء... لا بد ان ادفع شيئا.

سلوى: لا أريدك ان تخيب أملي فيك.. خذ اللوحة وبلغ تحياتي لزوجتك السعيدة الحظ.

كامل: (تأثرا) هذا جنون.

سلوى: لا يا عزيزي... أليس من حق الناس ان يعيشوا سعداء مثلنا أنت نفسك قلت هذا منذ قليل والمرء يسعد بمن حوله من الناس ان السعادة التي تتركها هذه اللوحة في بيت دفع ثمنها لا تساوي شيئا اذا ما قيست بالسعادة التي تبعثها عندما تتعلق من تلقاء نفسها وبدون مقابل (الى لطفي) مبروك يا سيدي (تمسك بيد طفلها) يا زوجي العزيز... أنا ذاهبة الى بيت أبي وسأنتظر ما وعدتني به.

ستار